ازمة الطاقة وبرنامج كارتر

تتناول الصحف العالمية هذه الايام ، بصورة مستمرة ، ازمة الطاقة بالتعليق والبحث • ولا يمر يوم دون ان يجسد المرء زاوية تتحدث عن البترول وآخر تطورات انتاجهوتسويقه مشفوعة بصور الطوابير البشرية التي تقف منتظرة دورها في الحصول على عدد من كالونات البنزين وغيرهـــا مـــن المشتقات البترولية •

وتحاول الدوائر الامبريالية ولا سيما دوائر الامبريالية الامريكية ان تربط مظاهر الركود الاقتصادي التي يعيشها اقتصاد الدول الرأسمالية الكبرى بأزمة الطاقة ، ورغم ان موارد الطاقة البترولية هي من بين العوامل المؤثرة فـي تعميق الازمة العامة للاقتصاد الرأسمالي المعاصر ، غير ان العوامل الاساسية لهذه الازمة انما تنبع من البنية الداخلية المتناقضة التي تمر بها الرأسمالية الامبريالية كونها رأسمالية محتضرة ، طفيلية ، فقدت كل المحركات الذاتية الدافعة لتطوير القوى الانتاجية ، حيث اصبحت علاقات الانتاج الرأسمالية ـ علاقات ملكية الدولة الاحتكارية ـ عائقا امام تطور القوى الانتاجية وقيدا فـي وجه التطور اللاحق للاقتصاد الرأسمالي الذي اصبح لا يكاد يخرج من ازمة حتى يقع مرة اخرى في ازمة اشد عمقا واكثرتدميرا للقوى المنتجة •

فالبطالة بين القوى البشرية العاملة في هذه المرحلة من مراحل تطـور الرأسمالية لم تعد كما كانت ، ظاهرة تصاحب الازمة الرأسمالية تزول بـزوال مسبباتها في ظروف الانتعاش والنهوض الاقتصاديين ، بل انها اصبحت ظاهرة دائمية ، وانتهت الى غير رجعة تلك الظواهر الاقتصادية الايجابية في الاقتصاد الرأسمالي ، ظواهر الانتعاش والنهوض الاقتصاديين ، وحل محلها ظاهـرة دائمية اخرى في الاقتصاد الرأسمالي الامبريالي هي ظاهرة الركود والوتائـر المتدنية لنمو الاقتصاد الامبريالي ، فالولايات المتحدة الامريكية وهي اقـوى واكبر دولة امبريالية معاصرة ، لم ترد فيها نسبة النمو الاقتصادي السنوي في افضل السنوات بين ١ر٥ ـ ٢ بالمائة • وتتجلى المرحلة الجديدة من الازمـة للرأسمالية ، وعلى وجه الخصوص ، في السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الثانية بالتشغيل غير المتكامل لكل الطاقة الانتاجية في العالم الرأسمالـي ، فالمصانع والمعامل والمؤسسات الرأسمالية بسبب ظاهرة فيض الانتـــاج ، لا تستطيع ان تعمل بكامل طاقتها الانتاجية الامر الذي يؤدي ليس فقط الى تعطيل وشل القوى المادية الانتاجية بل ويؤثر ايضا في شل القوى البشرية العاملـة والالقاء بملايين العمال الى احضان البطالة ، وقد بلغ عدد العاطلين عطالة كاملة عن العمل في مطلع هذا العام في الاقطار السبعة التي شاركت في قمة طوكيـو في ٢٩ حزيران ١٨ مليون عاملا فضلا عن اضعاف هذا العدد من العمال العاطلين عن العمل عطالة جزئية ، والتضخم المالي بتفاقم باستمـرار ، ولـم تجـد المحاولات التي بذلتها وتبذلها الدول الامبريالية لوضع حد له • واسعار الدولار تميل باستمرار نحو الهبوط وهي لا تلحق الاذى فقط بجماهير الشغيلة والطبقة العاملة ، بل وبشعوب الاقطار الرأسمالية الاخرى وشعوب الاقطار المتخلفـة والنامية التي تدور في فلك الاقتصاد الرأسمالي بما في ذلك الاقطار المنتجة والمصدرة للبترول ، مما ادى ويؤدي الى تعميق التناقضات التي يستعصي حلها بين الدول الرأسمالية الكبرى نفسها من جهة وبينها وبين الاقطار النامية والمتخلفة من الناحية الاخرى ويشدد بالتالي من تفاقم ازمة النظام الرأسمالي العالمي •

ان ازمة الطاقة التي تمثل الان محور سياسة الرئيس الامريكي كارتـر ، هي من بين اسوأ المعضلات التي تواجه الاقتصاد الامريكي ، وقد فشلت حتى الان كل الجهود التي بذلت باتجاه حل هذه المعضلـة ، فـزادت مستوردات الولايات المتحدة من النفط خلال اقل من عشر سنوات من ٣ر١ مليار دولار الى ٦٠ مليون دولار • ومن المتوقع ان تزداد استيرادات النفط من قبل الولايات المتحدة بحلول عام ١٩٨٥ ما مقداره ١٤ مليون برميل يوميا ، اي بمعدل خمسين بالمئة زيادة عن نسبة استيراداتها الحالية من النفط اذا ما استمرت وتيرة الاستهلاك الامريكية ذات الطبيعة التبذيرية من مختلف انواع الطاقة النفطية على حالتها الراهنة •

تحاول الشركات الاحتكارية البترولية في الولايات المتحدة الامريكية التي كانت ولا تزال تراكم مئات الملايين من الاستثمارات البترولية في الشرق الاوسط ومن ميادين تسويق البترول على حساب شعوب الاقطار المنتجة والمصدرة ، تحاول ومعها الادارة الامبريالية الامريكية ان تلقي بمسؤولية الطاقة على الاقطار المنتجة مهددة اياها باحتلال حقول انتاج النفط لضمان تدفقه اليها ، ومن اجل ادامة استغلالها لثروات هذه الاقطار ، ان شعوب هذه المنطقة التي تمرست في النضال ضد الامبريالية واساليبها الدنيئة في التهويل ، قادرة اذا مـا استطاعت ان تجد القيادات الوطنية المخلصة للدفاع عن مصالحها ان تفشل كل مخططات الامبريالية •

كارتر : التصدي بالقوة

بعض ردود الفعل الامريكية

هذا ولا زالت ردود الفعل الامريكية تزداد وهي في مجموعها تتنوع بـين معارض لبرنامج كارتر وبين متعاطف معه حذر منه •
ففي اميركا نقل كارتر ببرنامجه حرب الطاقة الى قلب بلاده فاستقال اعضاء حكومته بالجملة •
وتأتي هذه الخطوة بعد الخلوة التي امضاها كارتر في كامب ديفيد ودامت ١٤ يوما وفي اعقاب برنامج الطاقة الذي عرض تحت شعار : « التغلب علـى « ازمة الثقة » في المجتمع الامريكي » •
والجدير بالذكر انه لم يسبق ان عرض اعضاء ادارة رئيس امريكـي استقالاتهم قبل انتهاء فترة الرئيس المعلن •
ويذكر ان من بين الذين قدموا استقالاتهم : هاملتون جوردان مساعد كارتر وزبغنيو بريزنسكي المستشار لشؤون الامن القومي وسايروس فانس وزيـر الخارجية وجودي باول الناطق باسم البيت الابيض ، ومن بين اعضاء الحكومة جيمس شيلسنغر وزير الطاقة ، ومايكل بلومنتال وزير الخزانة وبروك ادامس وزير المواصلات واندرو يونغ سفير الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة •

وعلى الرغم من ان اعضاء بارزين في الكونغرس قد تعهدوا باتخـاذ خطوات سريعة للمساعدة على الاقتصار فيما اسماه الرئيس الامريكي هـرب الطاقة فان تدهور وضع الدولار قد عكس عدم ثقة بمستقبل برنامج الرئيس الامريكي •
ومع ان اغلبية الكونغرس وهي من الديموقراطيين اشادت بالخطـاب ووصفته بانه افضل خطاب لكارتر كرئيس فان موقف زعماء الحزب الجمهوري اتى ايجابيا بصورة عامة • فقد تعهد رئيس اتحاد نقابات العمل السيد جورج ميني بالتأييد رغم خلافاته الكثيرة مع كارتر وقال ان البرنامج جيد ويستحق تأييد الامريكيين •

غير ان بعض الحكام العرب والاجانب في الدول النفطية الرجعية المتحالفه مع الامبريالية سرعان ما تأخذ بهذا التهديد فتخضع لمطالب الامبريالية • فحكام السعودية الذين كانوا ولا زالوا من بين اخلص حلفاء الامبريالية اعلنوا فـي الفترة الاخيرة وبعد ان تحقق لدول الاوبك احداث بعض التصحيحات في اسعار البترول ما بين ١٨ ـ ٢٣ر٥ دولار للبرميل الواحد ، عن نيتهم لزيادة الانتـاج لكي يبلغ ٩ر٥ مليون برميل يوميا ، بعد ان كان ٨ر٥ مليون برميل يوميا ، فضلا عن ان بوسع المرء ان يتوقع ان الزيادة الحقيقية التي ستطرأ على الانتاج السعودي ستفوق الحجم الذي اعلن عنه هؤلاء الحكام •
ويطرح حكام السعودية كمبرر لزيادة الانتاج حاجتهم الى الموارد الماليـة لتمويل مشاريع التنمية الاقتصادية علما بأن السعودية هي الان تعاني مـن تخمة مالية لا تحاول ايجاد ميادين ملائمة لتوظيفها في القطر العربي السعودي ، دائما تملأ بها خزائن البنوك والمؤسسات المالية الامبريالية ، او ان هؤلاء الحكام يحاولون التستر خلف حجة اكتشاف حقول جديدة للنفط كالحقول البترولية فـي منطقة الربع الخالي ومكامن البترول في حقل مرجان الشمالي بالمنطقة الشرقية من السعودية ، وكل هذه الحقول ليست حقولا جديدة رغم انها لم تدخل مباشرة في الانتاج الفعلي •

ان قرار السعودية هذا في زيادة انتاج النفط ، جاء بوصفه تحديا لـدول منظمة الاوبك التي طالبت فيها بعض الدول باسترجاع حقها في ثرواتها النفطية وباعتباره طعنة توجه من الخلف الى تلك الدول الوطنية كأيران وليبيا وغيرهـا من الاقطار الاخرى ، ولذلك فانه يتعين على هذه الاقطار دفاعا عن مصالحها في الحفاظ على اسعار البترول في المستوى الذي قدرته منظمة الاوبك في مؤتمرهـا الاخير ، ان تعمل على اجراء تخفض محسوس في انتاجها لكي تفوت الفرصـة على المخطط التآمري السعودي ـ الامبريالي ، رغم ما قد تتعرض له هـــذه الاقطار من صعوبات مالية عرضية يمكن تعويضها فيما بعد •

ان انتهاج سياسة نفطية صائبة فيما يتعلق بانتاج كميات متوازنة مـن النفط تتناسب وحاجة الاستهلاك العالمي العقلاني ، من شأنها ليس فقـط المحافظة على حقوق الدول المنتجة في ثرواتها ، بل انها تؤدي الـى تشجيع الاستثمارات المحلية في حقول الولايات المتحدة الامريكية وهي حقول غنيـة بالبترول ، حيث يساعد ذلك على تخفيف ازمة الطاقة الدولية التي يعاني منها الان العالم الرأسمالي •
ولما لم تعد الامبريالية قادرة كالسابق على تقرير مصائر الشعوب بمـا ينسجم كليا ومصالحها الاستغلالية الانانية نتيجة لتغير تناسب القوى على الصعيد الدولي لمصلحة الشعوب بظهور معسكر الدول الاشتراكية وتنامـي حركة التحرر الوطني في قارات الكرة الارضية واشتداد نضال الطبقة العاملـة العالمية ، فان الامبريالية مضطرة في مثل هذه الظروف ان تجد لها مخرجا من ازماتها ولا سيما ازمة الطاقة • وهاهو الرئيس الامريكي كارتر يرسم فـي خطابه الموجه الى الشعب الامريكي يوم الاثنين ١٦ تموز تصوره لدور الولايات المتحدة في حل هذه المعضلة بعد ان لم يعد هناك الا مجال محدود في العالـم المعاصر الذي شرع في شق عصى الطاعة للامبريالية •
وقد حاول الرئيس الامريكي ان يصرف انظار الرأي العام الامريكي والعالمي عن العيوب البنيوية للاقتصاد الامبريالي مصورا واردات النفط الامريكيـة عدوا للولايات المتحدة لا يمكن الوقوف ضد خطره الا بتخفيض الاستيراد • واعلن بأنه يتعين على الولايات المتحدة ان تخفض استيراداتها من النفط الى النصف بحلول عام ١٩٨٩ اي في غضون عشرة اعوام •
وينص البرنامج النفطي الذي قدمه كارتر على الامور التالية :
ـ استخدام سلطات رئاسية من اجل اعتماد حصص لاستيراد النفط للعام ١٩٧٩ والعام ١٩٨٠ لهدف تخفيض الواردات حتى الى ادنى من مستـوى ٨ر٥ مليون برميل يوميا كما جرى الاتفاق عليه في قمة طوكيو للدول الصناعية الكبرى•
ـ تخفيض الواردات النفطية الى٤ر٥ مليون برميل يوميا بحلول عام ١٩٩٠ •
ـ العمل على وضع اكبر التزامات في ايام السلم في التاريخ الامريكي يشمل الموارد من اجل تطوير وقود اصطناعي •
ـ حمل الكونغرس يفرض على المنافع الكهربائية وغيرها تخفيض استعمال النفط بنسبة ٥٠ في المائة خلال عشر سنوات عبر التحول الى الفحم الحجـري وانواع اخرى من الطاقة •
ـ انشاء مجلس تعبئة للطوارىء يعمل من اجل القضاء على الروتـين الحكومي في تطوير مشروعات الطاقة •
ـ برنامج جريء للمحافظة على الطاقة يشمل جميع الولايات والمقاطعـات والمدن وكل الامريكيين والسعي الى الحصول من الكونغرس على ١٠ مليـارات دولار لمزيد من التطوير في وسائل النقل الجماعية •
وقد وضع الرئيس الامريكي لنفسه في هذا الخطاب مهمة انهاء حالة الشلل والركود التي تنتاب الاقتصاد الامريكي •
فهل يستطيع الرئيس الامريكي ان ينقذ نظامه الامبريالي من السقـوط ويقف بوجه حركة التاريخ التي لا مرد لحتميتها ؟؟